الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ
-دراسة في الأسس المعرفية-

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطلبة:
* غـــول حنـــان
* لعرابة فاطمة

إشراف الأستاذ:
* يوسف بن جامع

السّنة الجامعية:2013/2012

شكـــــر

لا بدلنا ونحن نخطوا خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد.... وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر و الإمتنان و التقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة..... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة..... إلى جميع أساتذتنا الأفاضل "كن عالما ..... فإن لم تستطيع فكن متعلما ،فإن لم تستطيع فأحب العلماء ،فإن لم تستطع فلا تبغضهم" ونخص بالتقدير والشكر :الأستاذ:"يوسف بن جامع "الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن الحوت في البحر، و الطير في السماء ليصلون على معلم الناس الخير ".

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي الذي لم يبخل علي يوما بشيء. و إلى أمي التي زودتني بالحنان و المحبة . أقول لهما :أنتما وهبتماني الحياة و الأمل و النشأة على شغف الإطلاع و المعرفة، و إلى إخوتي و خاصة أختي الصغيرة لينا و إلى أسرتي جميعا. و إلى أساتذتي، إلى زملائي و زميلاتي.

إلى كل من كانوا يضيئون لي الطريق و يساندوني.

فاطمة

إهـــداء

إلى من قال الله فيهما عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

إلى من كـ رسا حياتهما من أجل سعادتي ورسما بأنا ملهما سنفونية أفراح قلبي وعلما أن الحياة أخلاق وأمل ونضال، وأنها صبر وتحدي وعدم استسلام.

إلى أجمل كلمة أرددها في حياتي وأجمل وجه في الوجوه إلى نور العينين وسبب وجودي وشمعي الضياء الحبيبة الغالية أمي.

إلى من تحمل الصعاب من أجل سعادتي وربياني صغيرة وهداني راشدة والدي الغالي حفظه الله ورعاه.

إلى الذين قاسموني تعب الحياة إخوتي:

ميمي إلياس، طارق، ونسيم.

إلى كل من نسيه قلمي ولم ينساه قلبي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

حنـــان

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فلقد كتب كثير من الكتّاب والباحثين عن الجاحظ ،و نوّهوا بجهوده، واعترفوا بأفضاله وقد جاء بحثنا هذا في قضية اللفظ والمعنى للجاحظ حيث تصفحنا ما استطعنا الوصول إليه من الدراسات والأعمال البحثية حول الجاحظ ونتاجه، كما يعتبر الجاحظ هو أقدم من أثار هذه القضية " قضية اللفظ والمعنى" بين النقاد العرب إثارة واسعة فقد تحدث عنها كثيرا في كتبه وهو في كل جانب من أحاديثه يرفع من شأن اللفظ ويغّض من شأن المعنى، ولعل من الغريب أن الجاحظ الذي آمن بقيمة اللفظ على هذا النحو كان في طليعة من عرفوا أدبهم قيمة المعاني وطرافتها وأهميتها بل كان أهم كاتب في عصره عني بمعانيه، إذ كان يوفر لها ما يمكن لها من جدّة وبراعة. وهو حقا يعنى بألفاظه ولكنها عناية تابعة لمعانيها، إذ نراه يحدث فيها ضروبا من البسط والتكرار والازدواج حتى يؤدي أفكاره أداء دقيقا وهذه القضية المهمة وغيرها من القضايا التي يعنى بها بحثنا والتي يجدها قارئ هذه المذكرة في مكانها وكل هذا أوصلنا بأن تكون خطة البحث كالآتي:

مقدمة وفصلين وخاتمة، حيث تناولنا في الفصل الأول حياة الجاحظ وأسلوبه و ثقافته وأثر المعتزلة في فكره ثم مؤلفاته ، ويتناول الفصل الثاني قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ ونظرية النظم، فتطرقنا إلى مفهوم كل من اللفظ والمعنى عند الجاحظ وأهم مقولاته حول هذه القضية، وقمنا بتحليلها وشرحها، ثم تطرقنا إلى نظرية النظم ونظم القرآن عند الجاحظ.

وفي الأخير نرجو أن يكون بحثنا في المستوى، ونأمل أننا على الأقل لم نقصر أو نهمل تبيان جواهر عناصر موضوعنا وكذلك الإحاطة النسبية به ونرجو أن نكون قد أفدناكم ولو بالقليل.

الفصل الأول: حيـــاة الجاحظ و أثر المعتزلة في فكره.

نبذة عن حياة الجاحظ

اسمه و نسبه

عصره:

أ- الحياة السياسية

ب- الحياة الاجتماعية

ج- الحياة الفكرية و الثقافية

اسلوبه

ثقافته

أثرالمعتزلة في فكر الجاحظ:

واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد

أبو الهذيل العلاف

إبراهيم بن سيار النظام

بشر بن المعتمر

ثمامة بن أشرس النميري

مؤلفاته

وفـــاته

نبذة عن حياة الجاحظ:

كان الجاحظ إماما من أئمة الكلام، وزعيما من زعماء المعتزلة، وصاحب نحلة من نحلهم. وكان عالما محيطا بمعارف عصره، لايكاد يفوته شيء منها، سواء في ذلك أصيلها ودخيلها، وسواء منها ما كان إلى العلم والتحقيق، وما كان من الأخبار والأساطير، وكان راوية من رواة اللغة العربية وآدابها وأخبارها، غابرها ومعاصرها، واسع الرواية، دقيق المعرفة، قوي الملكة في نقد الآثار وتمييزها. ولكنه كان فوق هذا كله، كاتبا أديبا بكل ما تتضمنه هذه الصفة من رفاهة في الحس، وخصوبة في الخيال، وقوة في الملاحظة ودقة في الإدراك، وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات، واستشفاق الحركات النفسية المختلفة، وتمكن من العبارة الحية النابضة والتصوير الكاشف البارع الذي يبرز الصورة بشتى ملامحها وظلالها، في بساطة ودقة وجمال[1].

اسمه ونشأته:

الجاحظ هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري[2]، ولد بالبصرة حوالي 775م الموافق 159هـــ، ولقب بالجاحظ لبروز عينيه من حدقيتهما الواسعتين[3]، وهو عربي صميم من بني كنانة القبيلة العربية المشهورة، فهو بصري المولد، كان ينتمي إلى اسرة مسكينة فقيرة ماديا ضعيفة اجتماعيا، ولذا نجده يتحمل أعباء الحياة، فكان يبيع الخبز والسمك في احدى جهات البصرة. وكانت البصرة ملتقى الأجناس الكثيرة والفصيلات المختلفة والنوازع المتعددة، فلذلك كانت ملتقى للثقافات المختلفة، فمدينة البصرة، تمثل الطابع العقلي والتي تمثلت بالاعتزال وبلد المعتزلة.

لقد نشأ الجاحظ في هذا البلد ذي الثقافات المتعددة، ذي النزعة العقلية، فلم يكن فقر الجاحظ ليكون عائقا في مضيه إلى الكتاب ليلتقي مبادىء القراءة والكتابة. وكان الجاحظ يدرس ويتعلم في مجالس العلم والأدب التي كانت تعقد في مساجد البصرة إذ كان فيها كبار علماء البصرة كالحسن البصري وواصل بن عطاء، واشتهرت أيضا بسوق المربد الذي كانت تأتي إليه الأعراب من كل جهة للتجارة وقول الشعر والأدب، لذلك نرى الجاحظ يتردد بين المسجد والمربد يأخذ من هنا العلم ومن هناك الشعر والأدب[4]

---

[1] الجاحظ: البخلاء، يحقيق وتعليق طه الحاجري،الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ص18.

[2] جيا فخري عمر الجاف وخليل حميد:مجلة كلية التربية،النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن الثالث هجري، العدد 9، جامعة بغداد، ص264.

[3] حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، ص559.

[4] ينظر مجلة كلية التربية، النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن الثالث الهجري، ص264-265.

عصـــره:

أ-الحياة السياسية:

عاش الجاحظ في العصر العباسي الأول، وهو عصر استوعب تراث العصر القديم، فقد ازدادت جذور التواصل في هذا العصر بين هذا التراث وبين الثقافة الإسلامية عن طريق التزاوج بين العرب وغيرهم, والسفر والترجمة وكان لنصيب الفرس الحظ الأوفر من هذا التواصل من أي شعب آخر ومن شعوب الأمة الإسلامية ولقد ازداد نفوذ الفرس في هذا العصر وقوي تأثيرهم في مجالات مختلفة من الحياة السياسية والعلمية والأدبية .

وبذلك عمت الروح الفارسية في الحياة العباسية، وكان تقدم الفرس على العرب في مختلف شؤون الحكم سببا هائلا بين العرب والموالي، وسرعان ما ظهرت نزعة الشعوبية* بالإضافة إلى توسع التجارة في العهد الأول من الدولة العباسية لما نشطت الزراعة ومختلف الصناعات، فتوفرت الأموال وكثرت الغنائم من جراء الحروب والغزوات فشاع اللهو في البلاد وكثر الغناء وكذا المغنيات واتجه كبار الدولة من الخليفة إلى الوزراء إلى الأمراء نحو العلوم يطلبونها من العلماء والشعراء، ويحسون إليهم وينادونهم، كما شجعوا الأدباء والمترجمين بالمال والتأييد وعليه كثر التوفير وراجت تجارة الرقيق والغلمان.

وهكذا شاع الترف في جميع مظاهر الحياة، كما نشأت في العصر العباسي الأول ثقافات ثلاثة: العربية، اليونانية الشرقية والتي نجدها عند الفرس والهنود، وتأثر العرب بهذه الثقافات الثلاث مما زاد من امتزاج العرب بالفرس ومساندة الفرس للعباسيين في قيام دولتهم[1]

ب -الحياة الاجتماعية:

يرى الكثير من الدارسين في المقارنة بين الدولة الأموية والعباسية بأن هناك فواصل بينهم. ولكن نحن نلاحظ أن هذا الرأي يجانب الصواب، وذلك من الناحية الاجتماعية والعقلية، وسنبرز ذلك في أمرين اثنين:

[1] مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، عامر بن شتوح، جامعة ورقلة، ص21.

-إن تقاليد الدين الإسلامي ظلت منتشرة ومؤثرة في البلاد المفتوحة ونفس الشيء كان حاصلا مع اللغة العربية فلم يكن قيام الدولة العباسية حاجزا لهما.

-لو أننا فرضنا أن الدولة الأموية استمرت في الحكم إلى الزمن الذي حكمته الدولة العباسية لظهر خلالها من الحركات العلمية والأدبية والنظم الاجتماعية كانت في آخر الدولة الأموية أرقى منها في أولها .كما تجدر الإشارة إلى التوسع الحضاري والتطور في النظم الاجتماعية كان حظ الدولتين معا إلا أن هناك عوامل ميزت الدولة العباسية كغلبة النفوذ الفارسي وانتقال العاصمة من الشام إلى العراق وهذا كان له أثر كبير في نمو الحركة العلمية والاجتماعية وهذه الأخيرة، لونت العلوم والآداب بلون خاص وجعلت لها صفات خاصة، كغلبة النفوذ الفارسي وحرية الفكر كما تميز هذا العصر، بحركة التأليف والترجمة حيث حول ما في اللسان العربي إلى التسجيل في الكتب وتحويل ما باللسان الأجنبي إلى لغة العرب (الترجمة) إلا أنه يمكننا إجمال أهم خصائص هذه الفترة من الناحية الاجتماعية في النقاط التالية:

- تنوع الظاهرة الاجتماعية وتأثيرها الكبير على الحياة الثقافية والفنية ومن أبرز الظواهر الاجتماعية:
- التوليد وظاهرة المولدين، نتيجة الامتزاج والتزاوج بين الأجناس فامتاز هذا العصر بكثرة هذا الجيل من المولدين فأصبح من أبرز العناصر المكونة للدولة بالإضافة إلى ولادة فكر جديد.
- ظاهرة الصراع وإن لم يكن هذا الصراع محتما وهو ما فرضته كثرة الأجناس إذ وقع تصادم بين مميزات كل جنس من قيم وعادات...
- ظاهرة الشعوبية، التي تعتبر من أبرز الظواهر الاجتماعية لذلك العصر.
- اجتماع وجوه مختلفة من الحياة الاجتماعية كالغنى والفقر، الكرم، البخل، التقوى، الاستهتار.
- اتخاذ العباسيين الفرس وحضارتهم مثلا أعلى لهم ونموذجا يحتدون به كما أنهم تخاطبوا بالفارسية لمدى إعجابهم بها.[1]

[1] المرجع السابق، ص21-22.

ج-الحياة الفكرية والثقافية:

إن الحياة الثقافية والفكرية ما هي إلا انعكاس لتفاعل ظروف وعوامل سياسية ودينية واجتماعية أعطت لنا تلك الحياة النابضة بالفكر والثقافة والعلم والأدب.فانتشرت تيارات فكرية كثيرة لم تألفها الحضارة الإسلامية من قبل، وبذلك أصبحت حواضر هذه الدولة الفنية المترامية الأطراف بمثابة بوتقات تلتقي فيها مختلف هذه العناصر ولكل منها طابع خاص.

وأيام الحكم العباسي الذي يعد انقلابا اجتماعيا وسياسيا وثقافيا برز الدور الهام لعملية المثاقفة الحضارية مع الشعوب الفارسية والهندية واليونانية غير أن صدمة التلاحم المفاجئ كانت سببا في أخذ هذه لاستيعاب ثقافات هذه الشعوب، تفهمها وهضمها وتمثلها ومن ثم محاولة المواءمة بينها وبين ما يناسب الفكر الإسلامي .

حيث بدا التأثير الفارسي العربي واضحا في الأدب، وهذا بفضل الترجمة وعناصر تراثية أخرى ساهمت بشكل أو بآخر في تفعيل وإرساء دعائمها في التراث العربي فقد بات من الطبيعي أن تشهد الحياة العباسية تطورا ونضجا عقليا، نتيجة التفاعل الحاصل بين الحضارات إذ ظهرت المحاورات والمناظرات، والجدل بين أصحاب الملل والنحل والأهواء إذ ترجم العرب كتبا في الفلسفة والمنطق وفي علوم شتى، وقد كان تأثير ما ترجم الأثر العميق في توسيع آفاق العقلية العربية.

إن البيئة العباسية لم تكن متعددة الجوانب السالفة الذكر فقط بل كانت تجمع متناقضات أخرى إنها كانت تحفل بطبقات اجتماعية مختلفة وبحركات فكرية متباينة ناهيك عن اختلاف البشر سواء كان ذلك على مستوى الاستعدادات أو الميولات أو الأذواق والمكاسب والمصالح أو الأهواء فهناك أفراد لم يرضوا لبعض هذه الوجوه المتضاربة فانتقدوها وحملوا على أهلها حقا وباطلا وهذا ما حدث في العصر العباسي[1].

أسلوبه:

إنَّ الكلام على أسلوب **الجاحظ** بعيد الغَوْرِ واسعُ المدى، فهو لا يقتصر على طرائق تناوله موضوعاته، ولا يتوقَّف عند تراكيبه وعباراته، ولا ينحصر في تنويعه واستطراده، ولا يكفي

[1] المرجع السابق، ص23.

فيه انتقاؤه ألفاظه، ولا حَتَّى طرائق تعامله مع النَّاس في حياته، إنَّه كلُّ ذلك وأكثر، وخاصَّةً أن للأسلوب في كلِّ ذلك ما يُنْبِي عن الشَّخصية وتركيبتها النَّفسيَّة، كما يقول علماء النفس. ولذا فإننا قد لا نغلو إن عرضنا هذا التَّقريظ البديع لأسلوب **الجاحظ** الذي أورده **أبو حيان التوحيدي** ألمع تلاميذ **الجاحظ**، وهو يكشف عن كثيرٍ مما يعتلج في نفسنا، ويعبِّر عن جلِّ ما ذكرنا، بأسلوب لا يقلُّ روعةً عن أسلوب **الجاحظ** وببلاغة لا تقلُّ عن بلاغته، يقول:

«وأبو عثمان **الجاحظ**، فإنَّك لا تجد مثله، وإن رأيتُ ما رأيتُ رجلاً أسبق في ميدان البيان منه، ولا أبعَدَ شوطاً، ولا أمدَّ نَفَساً، ولا أقوى منه، إذا جاء بيانُه خَجِلَ وَجْهُ البليغ المشهور، وكَلَّ لسانُ المسحنفر الصَّبور، وانتفخ سحر العارم الجسور، ومتى رأيت ديباجة كلامه رأيت حَوْكاً كثير الوَشْي، قليل الصَّنعة، بَعِيدَ التَّكلُّف، مليح العَطَل، لـــه سلاسةٌ كسلاسة الماء، ورِقَّةٌ كرقَّة الهواء، وحلاوةٌ كحلاوة النَّاطل، وعزَّة كعزَّة **كليب وائل**، فسبحان من سَخَّرَ لـــه البيان وعلَّمه، وسلم في يده قصب الرِّهان وقدَّمه، مع الاتِّساع العجيب، والاستعارة الصَّائبة، والكتابة الثَّابتة، والتَّصريح المغني، والتَّعريف المُنْبِي، والمعنى الجيِّد، واللفظ المفخَّم، والطَّلاوة الظَّاهرة، والحلاوة الحاضرة، إن جدَّ لم يسبق، وإن هَزَلَ لم يُلْحَقْ، وإن قال لم يُعَارَضْ، وإن سكت لـــم يُعرض له»[1].

ثقافته:

كان الجاحظ نهما إلى القراءة، لم يقع في يده كتاب الا أتى عليه، ويكتري حوانيت الوراقين ويبيت فيها للدرس والمطالعة، وله قدرة فائقة على الحفظ والرواية، فأكسبه ذلك معرفة واسعة، وثقافة منوعة، بين دينية وأدبية عربية ويونانية، فارسية وهندية. والظاهر أنه عرف كتاب الخطابة Rhetorique، لأرسطو أو "الروطوريقا" كما تسميه المصادر العربية الأولى، بعض المعرفة، قبل أن تتناوله الترجمة الكاملة. وعاش في عصر طافح بالقمم من كل فن، فعاصر من رجال الفقه والحديث مالكا والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومن الكتاب ابن المقفع، وإبراهيم الصولي، وابن قتيبة والمبرد والزيات، ومن علماء اللغة الخليل بن أحمد،

[1] عزت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005، ص29-30.

ومن الشعراءبشار بن برد، وأبا نواس، ومسلم ابن الوليد وأبا العتاهية، وأبا تمام والبحتري، وابن الرومي. ودرس على الأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري والأخفش. والتقى بالنظام أبي اسحاق ابراهيم بن سيار البلخى، المتوفي عام 221هـ\745م وتتلمذ عليه وأعجب به أستاذا، وقال عنه:" الأوائل يقولون : في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإذا كان ذلك صحيحا فهو أبو إحسان النظام". وقد اتخذ الاعتزال مذهبا، وأصبح من كبار رجال المعتزلة، وله طائفة خاصة تنسب إليه تسمى "الجاحظية" يقول ياقوت في "إرشاء الأريب": "اتفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمي العالم ثلاثة: الجاحظ وعلي بن عبد الله اللطفي، وأبو زيد البلخي. والجاحظ يزيد لفظه على معناه وأما أبو زيد فيتواق لفظه معناه"[1].

أثر المعتزلة في فكر الجاحظ:

و كما نعلم كان الجاحظ من مدرسة المعتزلة تلك المدرسة التي تعتمد في أبحاثها على البرهان العقلي والبحثي والمنطق لا تفرق في ذلك بين الأمور العلمية أو الدينية لأنها تستهدف الرغبة في التثبت والصحة لاسيما أن الله سبحانه وتعالى حث على النظر واستخدام العقل وطرح التقليد... ومن هنا وقف الجاحظ من بعض الأحاديث غير المرفوعة موقف العالم فتنا ولها بالجرح والتعديل كما وقف من المفسرين لكتاب الله موقف المحاج فإن رأى في فهمهم زيفا وخروجا عن المعقول وتأويل الآيات تأويلا غامضا رد هذه التخرصات وحمل على أصحابها وسفه آراءهم.

و قد بذل الجاحظ أقصى جهوده ليستدل على أن القرآن كلام الله وأنه مخالق لكلام البشر في جميع مظاهره وقد وضع كتابه (البيان والتبيين) للدفاع عن هذه القضية، قد دفعه الحماس للعربية وبلاغتها وبيانها ليضع هذا الكتاب وذلك للرد على أهل الشعوب الأخرى التي كانت تفتخر بما لها من أقوال في البلاغة والبيان، فأراد الجاحظ أن يثبت أن للعرب السبق في هذا.

إن أثر المعتزلة في فكر الجاحظ نجده في المنحى الكلامي والمنحى الطبيعي، وفي منهج البحث.ففي المنهج الكلامي لم يشذ عن المبادئ الخمسة الأساسية التي وضعها المعتزلة، والجاحظ يذكر المعتزلة باسم "أصحابنا"، فهو لا يصرح بانتمائه إليهم فحسب بل إنه يقف موقفا عدائيا من سائر الفرق، ولا يستثني منها

[1] د الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، جامعة القاهرة، الطبعة الثامنة، 1419هـ، 1999م، ص 172-173.

إلا المعتزلة. ورغم هذا فإنه كان ينتقي من أفكارهم ما وجد منها مقنعا، ويخالف ما عداها بجرأة وسخرية منقطعتي النظير، وتفرد بآراء له خاصة اختلف بها عن فرقته.

أما في المنحنى الطبيعي فقد كان الجاحظ يبحث في الطبيعة محاولا الكشف عن القوانين المبثوثة فيها وذلك على غرار رجال المعتزلة أمثال " ثمامة" و" معمر" و"النظام" والذين حاولوا قبله عدة محاولات في دراسة عالم الطبيعة أو العالم المادي بوجه عام. أما منهج البحث عند الجاحظ، فهو منهج المعتزلة حيث استمد منهم منهجه العقلي، ونزعته العقلانية التي صاحبته مفسرا كما صاحبته محدثا وصاحبته متكلما وفيلسوفا طبيعيا، بل صاحبته أديبا بلاغيا وذلك استمرارا منه لعقلانية "العلاف" و"النظام" واقتداء منه بواقعية " بشر" و"ثمامة".

و إن كان الجاحظ قد تأثر بالمعتزلة عموما وبالعلاف والنظام خصوصا، تأثرا إيجابيا فإن هناك من أعلام الفكر غير الاعتزالي من أثر فيه تأثيرا سلبيا، زاده صمودا ويقينا في مواقفه المعادية لهم، إن في المنهج أو في الأفكار.

و أهم رجال المعتزلة الذين تركوا أثرهم في فكر الجاحظ، نذكر" واصل بن عطاء" و"العلاف" و"النظام" و" بشر بن المعتمر"و "ثمامة بن أشرس"[1].

واصل بن عطاء(ت 131ه) وعمرو بن عبيد (ت144ه):

أما واصل بن عطاء فان الجاحظ كان يعجب به وبصحة عقله، وكان يصنفه هو عمرو بن عبيد ضمن زمرة صحيحي العقل، وذكرنا أن الحقيقة عند واصل بن عطاء تعرف بحجة العقل، التي لا يساويها إلا ما ورد محكما من كتاب الله أو ما ورد من الأخبار اليقينية. فهو قد جعل المحكم من الكتاب، والعقل على قدم المساواة أو المطابقة وهي ذات المطابقة التي نجدها عند عمرو بن عبيد أيضا الذي يرى أن الدين ليس سوى حجة الله التي تم تقريرها في عقول المكلفين.

وفكرة المطابقة بين العقل والوحي أو بين العقل والنقل التي نجدها عند مؤسسي الاعتزال، نجد صداها عند الجاحظ. والجدير بالذكر أن تأثر الجاحظ بكل من "واصل بن عطاء" و"عمرو بن عبيد" لم يكن مباشرا فالجاحظ لم يدرك المؤسس الأول للمعتزلة لان مولد الجاحظ كان في سنة 150ه ووفاة واصل كانت سنة131ه، لكنه قد أدرك رجلا له صلة بواصل بن عطاء هو جعفر ابن أخت واصل، عرفه الجاحظ،

[1] ينظر إلى مكانة العقل في فلسفة الجاحظ، إعداد عبد المجيد الجوزي(أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 106-110.

وسمع منه إنشاد الشعر رواه في كتاب الحيوان كما روى عنه شيئا من الدعابة في كتاب البيان والتبيين فالجاحظ قد عرف فكر واصل من خلال ابن أخته هذا، كما عرفه من خلال " العلاف" و" النظام" خاصة، ومن خلال المعتزلة عامة[1].

أبو الهذيل العلاّف (ت 235 هـ):

إن العلاّف هو الذي يعود إليه الفضل في تنظيم مبادئ المعتزلة، بل كان يفتح جمعات نظر في الاعتزال لم تكن من قبل، كإدخاله فكرة " الجزء الذي لا يتجزأ " إلى المسائل الكلامية، ونقله البحث في هذه الوسائل من مناخها التطبيقي التشخيصي، إلى التفكير التجريدي كما فعل في بحثه " مسألة الصفات".

و ذكرنا أن " العلاف" قد تم على يديه تحقيق استقلالية نسبية للفكر، ويكون بهذا قد خرق قاعدة حصر مصدر المعرفة في مسائل العقيدة، في المصدر الإلهي فقط، كما فعل أهل السنة، وأنه كان يلتزم بما يقتضيه العقل إلى درجة أن تحكيمه العقل أو انسياقه مع الاقتضائية العقلية جعله أحيانا يذهب في الاستنتاج بعيدا عن النصوص أو الأصول المقررة في الإسلام، كما فعل في "مسألة الخلود". ومع هذا كله نجد الجاحظ يصور العلاف مراوغا لخصمه مؤثرا الشك على اليقين ساخرا من الناس حينا وساذجا يسخر منه حينا آخر نَهِمًا أكولا ومن طائفة البخلاء. إلا أن هذا لا يعني أن الجاحظ لم يتأثر بفكر العلاف، فالعلاف بما فتح في الاعتزال من جهات نظر لم يسبق إليها، يعد أبا لرجال المعتزلة، فهو ذو اطلاع واسع على الفلسفة اليونانية التي نجد كثيرا من مسائلها في كتب الجاحظ، كنظرية "الجزء الذي لا يتجزأ" ومصطلحات العرض والجوهر، كما نجد التقارب بينهما في تصورهما "للعقل" وإعطائه صفة الوسيلة، وقرنه بالعلم، والذي يهمنا أكثر هو نزعة العلاف العقلية – أي الضرورة العقلية – وإرهاصات الاستقلالية الفكرية، إلى فكر الجاحظ.

أما التحامل منه على العلاف فيمكن أن نفسره بسبب انحيازه إلى أستاذه "النظام" الذي كان بدوره تلميذا الله، للعلاف وكان مع ذلك يعارض آراء أستاذه وتجري بينهما مناظرات.[2]

[1] المرجع السابق، ص93-94.

[2] المرجع نفسه، ص94-95.

إبراهيم بن سيار النظّام (ت 235هـــ):

و كما ذكرنا آنفا أن الجاحظ كان من المعتزلة، وهو تلميذ أبو إسحاق النظام في اعتزاله، كان النظام شيخ المعتزلة وإمامها، ولقد وجد الجاحظ فيه ذلك الأستاذ الذي يرضي نوازعه العقلية المتوثبة، وجد في عواطفه الدافئة، وروحه الخيرة الحائية كثيرا من معاني الأبوة الكريمة التي كانت نفس الجاحظ شديدة التعطش لها، منذ فقد أباه في فجر حياته، ثم قست عليه الحياة فزادته شعورا بالحاجة إلى العطف الأبوي، كان على ناحية كبيرة من الاحتكام إلى العقل، والإمعان في التجريد العقلي، حتى فاق أستاذه العلاف تجريدا وتنزيها للذات الإلهية في بحثه مسألة الصفات، كما قطع " النظام" شوطا كبيرا في مجال الاستقلالية الفكرية عن المصدر الإلهي، حتى أفسح المجال أمام " العقل" لاقتحام ميادين للنظر والبحث والكشف لم يكن مسموحا له باقتحامها، وكأن قوله بعدم حجية الإجماع، أدى به إلى القول بأن الصحابة عرضة لخطأ، فراح ينقدهم في أعمالهم السياسية وآرائهم الفقهية، كما انتقد بجرأة بعض رواة الحديث، كما فعل مع " ابن مسعود" وعاب على طائفة من المفسرين تكلفهم في التأويل، وقال فيهم " إن كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير أساس"، "ونتناول بالنقد الخرافات وأوهام العوام كالتطهير والتشاؤم والأحلام وأحاديث الجن والغيلان"، لاسيما وأن " النظام" قد غلبت عليه النزعة الشكية النقدية، حتى أخبرنا الجاحظ أنه قد فضل "الشكاك" على " أصحاب الجحود والعناد"، لكن أهم ما نلمح عند النظام النزعة التجريبية التي قادته إلى إدراك وجود قوانين حتمية في الطبيعة.

أما أثر "النظام" في فكر الجاحظ، فيتجلى في مخاطبته العقل إتباعا لأستاذه، فكان للجاحظ قوة " في عقله وطريقة تناوله للمعرفة وطريقة جدله، وكان يحترمه ويثق فيه، وقال عنه: " كنا لا نرتاب بحديثه إذا حكى عن سماع أو عيان"، وهو عنده " مأمون اللسان، قليل الزيغ"، ويقول عنه بعد ما مدح المعتزلة: لولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم لهلكت العوام من المعتزلة (....) إنه قد أنهج لهم سيلا وفتق لهم أمورا واختصر لهم أبوابا ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة". ولذلك أفاد منه الجاحظ آراءه، فمال في التفسير إلى منهجه واعتمد التأويل والتعليل، إلا أن الجاحظ لم يكن مقلدا للنظام في التفسير، بل كان يخالفه أحيانا في تفسيراته كما فعل في تفسير الآية: "و اتخذ الله إبراهيم خليلا".

وأفاد الجاحظ من "النظام" أيضا أسلوبه الجدلي، فقد كان "النظام" أحد رجال المعتزلة ذهنا إلى حد أن العلاف مع قدرته الفائقة على الجدل كان يتحاشاه، وانتقلت هذه المقدرة على الجدل إلى الجاحظ، حتى تجلت في كتبه كلها، فهو دائما يتصور متحاورين أو متخاصمين، يدل كل طرف على حججه، ويناقش الجاحظ الحجج ثم يصدر حكمه بعد ذلك، وقد انتقد الجاحظ أستاذه " النظام" ورماه بسوء الظن واتهمه بالقياس على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق به.

كما وصف الجاحظ " النظام" بأنه أضيق الناس صدرا بحمل السر، وكان شر ما يكون إذا يؤكد عليه صاحب السر، وكان إذا لم يؤكد عليه ربما نسي القصة، فيسلم صاحب السر.

و خالف الجاحظ " النظام" في عدة مسائل أهمها: مسألة إعجاز القرآن، ومسألة الإجماع، ومسألة القياس في الشرعيات، ومعيار اليقين، وقضية الإمامة.

وخلاصة القول أن فكر " النظام" قد ساهم إلى حد بعيد في تكوين فكر الجاحظ هذا الأخير الذي كان تلميذا له، يفضه على سائر رجال المعتزلة، ويتابعه في كثير من آرائه، ويشرح بعضها بإسهاب في آثاره، ولكنه يخالفه في بعض تلك الآراء[1].

بشر بن المعتمر (ت: 210هـ):

أما بشر بن المعتمر، فهو رئيس المعتزلة بغداد، كان من أكبر الشعراء ورجال البلاغة، فقد صنف في الأصول التي يقوم عليها علم البلاغة، ومن بين ما صنف صحيفته البلاغية التي تأثرت بها بلاغة الجاحظ.

و الجاحظ كان يعتمد في إطلاق أحكامه في الإيجاز، وفي علاقة اللفظ بالمعنى، وفي الهدف المنشود للبلاغة على هذه الصحيفة التي ينقلها كاملة في كتابه " البيان والتبيين" وهذا مطلعها:

" خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الاستماع وأحلى في الصدور..."

كما تأثر الجاحظ ببشر بن المعتمر من ناحية أخرى، وهي ناحية البحث في عالم الحيوان، حيث يورد له قصيدتين كاملتين في كتابه الحيوان، وفي ذلك يقول الجاحظ: " أول ما تبدأ قبل ذكر الحشرات وأضاف

[1] المرجع السابق، ص95-100.

الحيوان والوحش بشعري بشر بن المعتمر، فإن له في هذا الباب قصيدتين، قد جمع فيهما كثيرا من هذه الغرائب والفرائد، ونية بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة، والموعظة البليغة ". وهذا مطلع القصيدة الأولى التي تبلغ ستين بيتا:

الناس دأبا في طلاب الغنى و كلهم من شانه الخترُ

كـــأذؤب تنهشـــهـــا أذؤب لها عواء ولها زَفـــرُ

أما مطلع القصيدة الثانية وهي تبلـــغ سبعين بيتا فقولـــه:

ما ترى العالم ذا حشـــوة يقصر عنها عدد القطر

أو أيد الوحش وأحناشهـــا و كل سبع وافر الظفر

ثم يأخذ الجاحظ على عاتقه عبء تفسير هاتين القصيدتين التين كانتا مصدر معارفه في طبائع كثير من الحيوانات كالذئاب والضباع والأوعال والثعالب والحيات والقردة والدببة والفيلة والظباء والعقارب والطيور والأسماك وغيرها.

و الجاحظ لم يكن مجرد شارح لقصيدتي بشر بن المعتمر، بل زاد على قوله بما توصل إليه من ملاحظات وتجارب، وبما وصله من أخبار وسماع، ولم يكتف بالإضافة إنما اتهمه – بشر بن المعتمر– ورماه هو ومن كان في حكمه بالتقصير في البحث والتنقيب وباكتفائهم بالوصف دون التعليل فقال: " لم أرهم يقفون على حد العلة في ذلك..." ، وقد يكون هذا التقصير لديهم هو ما دفع الجاحظ إلى تأليف كتاب " الحيوان"، الذي لا يخلو من التعليلات والتبريرات والتفسيرات، فالجاحظ لا يرضى بوصف الظواهر دون تعليلها[1].

ثمامة بن أشرس النميري (ت 234هـــ):

كان زعيم المعتزلة في زمن المأمون والمعتصم والواثق، وكان واحد دهره في العلم والأدب وكان جدلا حاذقا، وثمامة تلميذ العلاف، وكانت علاقته بالجاحظ علاقة تلميذ بأستاذه أما أثره في فكر الجاحظ فيتجلى في كل شيء في الأسلوب، فقد اتبع الجاحظ في أسلوبه أسلوب أستاذه الفكه الذي يقول عنه: " لم يكن لفظه إلى سمعك أسرع من معناه إلى قلبك"، كما نلمس أثر ثمامة في فكر الجاحظ، في كثرة ما كان

[1] المرجع السابق، ص100–103.

هذا الأخير يرويه عنه، لاسيما فيما يتعلق بالأبحاث الطبيعية المتصلة بعالم الحيوان، فقد ذكر له آراء كثيرة في ذلك، منها رأيه في أصل الحياة وتولد بعض الحشرات من بعض المآكل، ومنها ملاحظته لطباع بعض الحيوانات كطباع الفئران أثناء الصراع، وصراع الديكة مع الكلاب حتى أن ثمامة – كما يخبر الجاحظ – قد اشترى يوما ديكا من الديكة التي تقاتل الكلاب، فتسبب في طعن عين ابنته التي أقبلت لتنظر إليه.

وكان ثمامة ينبذ العوام، ووافقه الجاحظ في ذلك، فنبذ العوام وقلل من شانهم بسبب عدم تحكيمهم العقل واعتمادهم التقليد، وفي ذلك يقول: "العوام هم الذين يقلدون ولا يحصلون ولا يتخيرون، والتقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن".

إلا أن الجاحظ الذي لم يسلم من انتقده أحد ينتقد ثمامة أيضا، فيرميه بحب الظهور والشهرة، ويخبر أنه قال:

"الشهرة بالشر خير من أن لا أعرف بخير ولا شر". كما انتقده في اهتمامه بالشكل على حساب المعنى، فقال عنه أنه " كان حين يستوي له اللفظ لا ينظر في صلاح المعاني من فسادها"، ويبدو أن الجاحظ في مسألة علاقة اللفظ بالمعنى يفضل أستاذه بشر بن المعتمر الذي سبق وتحدثنا عنه.

كما يرد الجاحظ على ثمامة في مسألة خلق القرآن " إذ يرى ثمامة كما – يخبرنا الجاحظ – أن القرآن مخلوق على المجاز دون الحقيقة فيتهمه الجاحظ بالخروج عن هذا الأصل الذي هو أصل من أصول المعتزلة، ويرد عليه قائلا أن القرآن " جسم وصوت، وذو تأليف وذو نظم وتقطيع، وخلق قائم بنفسه مستغن عن غيره، ومسموع في الهواء ومرئي في الورق ومفصل وموصل، ذو اجتماع وافتراق، ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء، وكل ما احتملته الأجسام ووصفت به الأجرام، كل ما كان كذلك فمخلوق في الحقيقة دون المجاز".[1]

[1] المرجع السابق، ص103–106.

مؤلـــفـــاتـــــه:

للجاحظ مؤلفات كثيرة يمكن أن نحصيها في ثلاثة عشر مؤلفا هي:

كتاب البيان والتبيين: في الأدب والإنشاء وأبحاث في البيان والخطابة والخطباء، والسجع، والشعر والشعراء، والنساك والزهاد، وأمثلة في خطاب النبي والخلفاء وفي اللحن واللحاني، وأحاديث ونوادر، وغير ذلك وهو أصدق مثال للإنشاء في أوساط القرن 3 هـــ.

كتاب الحيوان:

هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية، ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية، وقد طبع في مصر سنة 1907 م في سبعة مجلدات.

كتاب المحاسن والأصداف والعجائب والغرائب في اللغة: وطبعه المستشرق (قاد فلوكن) في لندن سنة 1887 م في 400 صفحة ثم طبع بمصر سنة 1907.

كتاب البخلاء: في الأدب طبع غير مرة في أوروبا ومصر.

كتاب سحر البيان: في كوبرلي.

كتاب فضائل الأتراك: في أبا صوفيا، وطبع بمصر مضبوطا بالشكل سنة 1898م.

كتاب سلوة الخريف في المناظرة بين الربيع والخريف: طبع بالأستانة، سنة 1302م وبمصر.

كتاب العرافة والزخرف والفراسة: على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن.

رسالة التربيع والتدوير.

البرصان والعميان.

رسائل الجاحظ.

المحاسن والأضداد.

كتاب التاج: في جملة كتب زكي باشا، وقد قام على طبعه وترجمته (الجاحظ، ابن خكان)[1].

و ممن كتب في الجاحظ:

- أبو حيان التوحيدي (تقريض الجاحظ).
- شقيق جير (الجاحظ معلم العقل والادب).

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص7.

- حسن المندوبي (أدب الجاحظ).
- فؤاد أقزام البستاني (الجاحظ).

وفاتـــه:

أجمعت الروايات على أن الجاحظ أصيب بالفالج[1] والنقرس[2] في أواخر حياته فانتقل إلى البصرة في خلافة المتوكل، وربما السنة التي قتل فيها أي سنة 247 هـــ الموافق ل 861 م، ويروون لعلته خبرا لا ينبغي التعويل عليه، وهو أنه على مائدة أحمد بن دؤاد فأكل مضيرة[3] وسمكا ففلج وتقرس من ليلته لجمعه بين السمك واللبن.

و الجاحظ كان يشكو علته في عهد ابن الزيات، قبل أن يتصل بأحمد بن أبي دؤاد لأنه أشار إليه في كتابه (الحيوان). واعتذر فيه نقاده قائلا بأنه صادف هذا الكتاب منه حالات تمتع الإدارة فيه، أول ذلك العلة الشديدة والثانية قلة الأعوان والثالثة طول الكتاب، فهذه العلة التي يذكرها ولا يسميها وهو بين المسعيين.

فلما اشتد مرضه ووهنت قواه لزم بيته سجين الهرم، حدث المبرد وقال: " دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له كيف أنت؟ فقال: كيف يكون سم نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به، ونصفه الأخر متقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه. واشتد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها.[4]

وهرع العلماء والأدباء إلى زيارة الشيخ العليل معلم العالم العربي بمجمله، وتوافدوا من البصرة وبغداد وسواهما من البلدان، لكن ذلك المصباح أخذ يخبو شيئا فشيئا حتى وافته المنية سنة 255هـــ- 868م.

---

[1] الفالج: الشلل.

[2] النقرس: علة في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين تشبه داء المفاصل.

[3] مضيرة: لحم يطبخ باللبن المضير أي الحامض، وربما خلط المضير بالحليب وهو الأجور.

[4] الحاجري طه: الجاحظ حياته وآثاره، ط2، ص 466.

الفصل الثاني: قضيـــة اللفـــظ والمعنى عند الجاحظ ونظرية النظم

توطئـــة

مفهوم اللفظ عند الجاحظ

مفهوم المعنى عند الجاحظ

قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ

نظرية النظم: تعريفها، لغة و اصطلاحا

نظرية النظم عند الجاحظ

نظم القرآن عند الجاحظ

توطئـــة:

تعد ثنائية اللفظ والمعنى من أهم القضايا البلاغية والنقدية التي دار حولها جدل واسع في ميدان الدراسة الأدبية، حيث حضيت بقسط وافر من اهتمام النقاد والعلماء وأخذت النصيب الأكبر والأوفر من جهود علماء هذه الدراسة، وكان ذلك قبل زمن الجاحظ الذي بدوره لم يوفر جهدا إلا واستثمره في معالجة قضية اللفظ والمعنى وشهد الكثيرون بتفوقه في هذا المجال.

ومن الشهادات التي ترتفع بالجاحظ إلى درجة الإمامة في هذا المجال، حيث تجعل جميع المهتمين بهذه القضية من القدماء والمحدثين يصدرون عنه، ويقتفون أثره، يصرح الدكتور فوزي عبد ربه في كتابه الموسوم "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين" حيث يقول:" فقد كانت قضية اللفظ والمعنى من أهم المسائل التي أثارها، وقد أثارها للمرة الأولى في حياة التفكير الأدبي عند العرب، فقد فطن إلى هذه الفكرة وأخذها عنه المشتغلون بالأدب والمهتمون بأركانه [1].

ثم إن أكثر الدارسين والعلماء قديما وحديثا يسلمون بأن القضية اللفظ والمعنى عرفت قبل زمن الجاحظ بدءا مع الفكر اليوناني [حيث] تنازع القول في هذه الثنائية على محيط نشأة اللغة الفيلسوف أفلاطون(347 ق.م) الذي يرى في اللغة ظاهرة طبيعية ليس للإنسان شأن في وجودها، بينما يراها الفيلسوف أرسطو ظاهرة اجتماعية.

ويبدو أن رأي أفلاطون المأخوذة بسحر الكلمة، وشفافيتها، بذرة سوفسطائية أراد من خلالها إضفاء صفة التقديس قصد التنمية، والغموض، والسحر، لكي تتاح له مساحة أكبر في التصرف بالألفاظ والتراكيب[2]، وقد ظهرت آراء أرسطو في مقولاته عن فن الشعر والخطابة التي سجل في فنونها درجات الحراك الدلالي لزوج اللفظ والمعنى، وكيفية تمحورهما حول

---

1 د. يوسف غيوة، نظرية الجاحظ في ثنائية اللفظ والمعنى وموقعهما في الدراسة النقدية والبلاغية قديما وحديثا، مجلة الآداب كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، العدد 06، 1424 هـ-2003م، ص77.

2 عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ط1، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، 1422 هـ، ص76.

مركزية المعرفة [1]. وننتقل من الحضارة اليونانية إلى اللسانيين الهنود الذين كانت لدراستهم في ميدان الأصوات والفونولوجيا للغة السنسكريتية الأثر الكبير في تتبعهم لأبعاد هذه الثنائية، التي ظهرت مقترباتها إلى الوجود الفعلي من خلال الكلام [2].

[وهم] يعتبرون الكلمة أساس المنطوق الكلي، كما يعتبر الطين السبب المادي لكل المواد الترابية [3].

ونصل في بحثنا إلى اللغويين العرب، وأهل البلاغة والنقد، فأول ما برزت في ملاحظات وردت في صحيفة بشر بن المعتمر(ت210هـ) وفيها يقول ابن المعتمر: "ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن أحقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما"[4].

ويقول أيضا:"والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرق على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال[5].

ومن هذين القولين نستخلص أنه يشير بوضوح أن اختلاف الأساليب باختلاف المعاني، وأن هناك ترابط بين اللفظ والمعنى، "وإن شرف المعاني مقصور على صوابه ومنفعته ومطابقته بمقتضى الحال إلا أن يكون خاصا بفئة ما أو بعموم الفئات[6]. وقد دفعت هذه الأقوال الجاحظ إلى الاهتمام بهذه القضية حتى إنه لم يترك شيئا يحقق الجودة في القول

1 المرجع السابق، ص77.

2 المرجع نفسه، ص77.

3 المرجع نفسه، ص77.

4 الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985، ج1، ص99.

5 المصدر نفسه، ص99.

6 د. مريم محمد جاسم المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ط1، دار مجداوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2009–2010، ص128.

إلا وتناوله، وإن أبدى اهتماما باللفظ، وقد أثار ضجة كبيرة في الدرس النقدي، وقدم خلاصة كاملة لعناصر النص الأدبي حتى إن من جاء بعده كان متأثرا بآرائه[1].

ونلتمس أن لنصوص الجاحظ النقدية والتنظيرية أثرا كبيرا في نصوص الذين جاءوا بعده، فنحن لا نجد نصا نقديا يتناول هذه القضية إلا ومقولات الجاحظ وأرائه حول هذه الثنائية حاضرة ومؤثرة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

مفهوم اللفظ عند الجاحظ:

من المعروف أن اللفظ هو الكلام المستقبل، والمكب في وحدات وظيفية ترتبط ببعضها البعض من حيث علاقتها بالمحيط الذي تعبر عنه.

ولا يحصل البيان دون هذه الألفاظ التي هي المادة الأولى للكلام[2]. ولكن أحيانا تتفاضل الكلمات فيما بينها "بلاغة اللفظة المفردة"، وفي غالب الأحيان لا تكون اللفظة بليغة إذا لم تقتفي تركيب.

ومن هنا نراه يؤكد على اللفظ الخفي الظاهر، والغائب الشاهد، والبعيد القريب، والذي يحلّ المعقد، والذي يجعل المهمل مقيدا [3].

ولذلك فهو ينتصر لبلاغة اللفظ داخل التركيب أكثر من فصاحة اللفظة خارج التركيب.

لذلك قال العرب [4].

إن الكلام من الفؤاد وإنَّمـــا جعل اللسان على الفؤاد دليلا
لا يعجبنك من خطيب قولـــه حتى يكون من البيان أصيلا

يقف الجاحظ من اللفظ موقفين:

الأول: يكون فيه اللفظ جزءا من المعنى فهو السمة والصورة التي ينعكس فيها المعنى وفي هذه الحالة يكون اللفظ متصلا بالمعنى اتصالا وثيقا وملتحما به التحاما شديدا يجعل من

[1] مريم محمد جاسم المجمعي، المرجع السابق، ص128.

[2] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص114.

[3] المرجع نفسه، ص114.

[4] المرجع نفسه، ص114.

الألفاظ معاني ومن المعاني ألفاظا... ويصبح الجاحظ يطلق معاني ويقصد ألفاظ ويريد معاني كقوله: "وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار..."[1] وقوله في النص نفسه والسياق نفسه: وقد يستحق الناس ألفاظا وغيرها لأحق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر...إذن فالمعنى هو اللفظ لأن المعنى أن يظهر بدون اللفظ.

والمعنى غير اللفظ لأن الألفاظ وحدها لا شأن لها ولا يقوم لها وزن في حياة الناس وقد كانت هذه القضية موضوع نقاش بين الجاحظ وخصومه. فهؤلاء كانوا على ما يبدو يوافقونه في إمكانية إطلاق الأسماء على المعاني مجازا كما في الآية:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[2]. لكنهم يخافونه في تأويل هذه الكلمة هل هي شاملة لجميع الأسماء، ومن ثم لجميع المعاني أو مقتصرة على بعضها [3]. ونستمع إلى الجاحظ يناقش ذلك: فإن قلت: فقد علم الله عز وجل آدم الأسماء كلها ولا يجوز تعريف الأسماء بغير المعاني وقلت: ولا حاجة الناس إلى المعاني إلى التعاون والترافد لما احتاجوا إلى الأسماء وعلى أن المعاني تفضل الأسماء والحاجات تجوز مقادير السمات وتفوق ذرع العلامات ... وجوابي في ذلك أن الله عز وجل لم يخبرنا أنه قد كان علم آدم كل شيء يعلمه تعالى كما لا يجوز أن يقدره على كل شيء يقدر عليه... فمعلوم أنه عنى بقوله وعلّم آدم الأسماء كلها علم مصلحته في دنياه وآخرته [4].

الثاني: يكون فيه اللفظ مستقلا عن المعنى، أو بعبارة أخرى عما لفظته المعاني وطرحته "لغو بهرجا وساقطا مطروحا"[5].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص21.

[2] سورة البقرة، الآية 31.

[3] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص107.

[4] الجاحظ، الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط 2،1996 ،ج1، ص201.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

فاللفظ بعيد عن المعنى وفي هذه الحالة يكون كالقشرة بالنسبة للب والظاهر بالنسبة للداخل والدنيا بالنسبة للآخرة.

فهذا النوع من الألفاظ هو تلك الألفاظ المحدثة التي اخترعها الناس ووضعوها للتعامل بينهم في حياتهم فالمتكلمون مثلا تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني واشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدرة لكل تابع [1].

مفهوم المعنى عند الجاحظ:

إن الجاحظ لم ينظر إلى القيمة الشعرية على أنها لفظ أو معنى أو كلاهما، بل نظر إلى الصياغة التي تظهر المعنى، فتحدث في اللفظ صورة تعبيرية ترتقي إلى الصورة الجمالية المتحققة(الصناعات). إن صناعة المعنى في الشعر تتباين مستوياتها في التعبير كتبيان القيم الجمالية في الصناعة والنسيج والتصوير [2]، فـ "المعنى الشعري لا يكون في ظاهر اللفظ دائما، لأن تشكيل الصورة في المعنى في صيغ البلاغة المختلفة يحكمها السياق الدلالي أكثر مما يحكمها المعنى الوصفي المباشر ولعلّ الجاحظ كان يدرك هذا تمام الإدراك، لذلك حاول أن يتجاوز موقفه الوصفي هذا والذي اعتمد فيه المقاييس الظاهرية في حكمه النقدي إلى الحديث عن المعنى كمدلول أدبي مخصوص بالبيان" [3].

فالمعاني تعتبر كمادة أولية لصناعة الكلام، كونها قائمة في صدور الناس جميعا، وتجول في أذهانهم، تتهيأ لعامتهم وخاصتهم معيار التلقائية والمباشرة كالدارجة وكلام العامة. وقيمة مثل هذه المعاني في معيار الجاحظ النقدي ضئيلة وفقيرة، لأنها مطروحة في الطريق تقابلها معان حية صنعها الإنسان بالشعر وأخرجها من مكمنها لتؤدي وظيفتها التصويرية بلغة مختارة قادرة على استكناه تلك المعاني والإيحاء بها.

[1] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص146.

[2] د. مريم محمد المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ص133.

[3] بحث، المعنى عند الجاحظ، ماهر مهدي هلال، مجلة آداب المستنصرية، العراق، العدد15، 1987م، ص231.

فأصبحت ذات قيمة أدبية، ولكن تلك القيم تتفاوت بحسب قدرة الوسيلة على التعبير الذي يحيلها على العقل[1].

"فالتقابل إذن بين معنى ومعنى والألفاظ المتخيرة ليست وسيلة تحيي المعنى. وتكشف مستوره فهي معيار المعنى، لأنها حاملة له، تؤثر في عملية توصيله وتصويره"[2].

وقد يرد المعنى بصورة بيانية مختلفة، تبعا لطوفان اللفظ في الاستعمال، وقد وعى الجاحظ ذلك بتعبيره على إدراكه للمجاز في توسيع دلالات الألفاظ، ونقل هذا الوعي إلى حيز العملية النقدية كما في تعليقه على قول الشاعرة:[من المنسرح].

والإثم من شرّ ما تصول به والبرُّ كالغيث نبتــة أَمــرُ

قال: ولو شاء أن يقول: والبر كالماء نبتة أمر"، استقام الشعر، ولكن لا يكون له معنى، وإنما أراد أن النبات يكون على الغيث أجود"[3].

إذن فالمعنى متعلق بدوران الكلمة، وتقلباتها وتغيراتها في سياق التركيب اللغوي وذلك باعتبار الكلمة هي التي تحمل المعنى ومصورة له بتقابل الحالات وتلاقي الأسباب.

فـــ"الاسم بلا معنى لغو، كالظرف الخالي، والأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح، ولو أعطاه الأسماء بلا معان لكان كمن وهب شيئا جامدا لا حركة له، وشيئا لا حس فيه وشيئا لا منفعة عنده، ولا يكون اللفظ اسما إلا وهو مضمن معنى.

وقد يكون المعنى ولا اسم له ولا يكون اسم إلا وله معنى" [4].

إن الجاحظ لا ينظر إلى ما يقدمه الشعر من معان ودلالات مهما بلغت أهميتها، بل يعتبر "التشكيل الشعري" الذي يتمثل بالوزن أي: ضبط الإيقاع العام للقصيدة، وتخير اللفظ أي: الاستخدام الفريد للغة، وسهولة المخرج: إنسانية التعبير الشعري.

---

[1] د. مريم محمد المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ص133.

[2] بحث المعنى عند الجاحظ، ماهر محمدي هلال، ص231.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص229.

[4] الجاحظ، رسائل الجاحظ، شرحها وقدم حواشيها عبد امهنا، دار الحداثة، طريق المطار، ط1، 1988، ص187.

ومن أجل ذلك ذكر الجاحظ شروط الألفاظ الجيدة وحسن اختيار القائل لها، سواء بإيحائها بالمعاني أم في تصويرها لبيئة الشاعر، وكثرة الماء أي: السيولة العاطفية والانفعالية والتعبيرية التي بفقدانها يكون الشعر يابسا لا يتمكن من تحريض انفعال المتلقي وتحقيق استجابته الفنية والتعبيرية، والعرب تطلق تعبير كثرة الماء كناية عن الحيوية والجمال والتدفق والتآلف والمرونة والارتواء، وصحة الطبع تعبيرا عن الموهبة الشعرية وصفائها وحيويتها، وختم الجاحظ تصوره للتشكيل الشعري بجودة..... متمثلة بالقدرة على خلق النسيج الشعري المتناسق والمتماسك [1].

يقول الجاحظ:"إن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية، وممتدة إلى غير نهاية"[2].

لقد رجع إلى هذه الفكرة في عدة مواضيع مما يدل على أنها تشكل لديه عدة ثابتة فهو بعد أن ذكر كيف اضطر المتكلمون إلى إحداث ألفاظ لم تكن موجودة من قبل قال:

"إنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني" [3].

فهذا النص السابق، ثم إنه يقال لأول مرة في سياق واحد بين المعاني والأسماء والألفاظ، فالجاحظ يرى أن هناك: المعاني الواسعة التي لا نهاية لها لأنها تمثل جميع الكائنات التي خلقها الله ثم الأسماء التي تعبر عن هذه الكائنات والجاحظ يصرح بأنها عاجزة عن اتساع المعاني، وأجيز الألفاظ التي جيء بها لسد عجز الأسماء، وتكميل ما بها من نقص وهذا التصور هو الذي جعل الجاحظ يقرر قاعدة أساسية بنى عليها نظريته في العلم والأدب وهي القائلة العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه لأن العلم في هذه النظرية إنما هو العلم بالمعاني أعني الكائنات غير المسماة والتي لا تزال مجهولة لدى الإنسان [4].

[1] د. مريم محمد المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ص ص 134-135.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص56.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص141.

[4] محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ، ص138-139.

قضية اللفظ والمعنى:

قضية اللفظ والمعنى هي كبرى القضايا النقدية، وأساس كبير للعملية النقدية، لأنها تعالج بنية العمل الأدبي وصياغته الشكلية والمعنوية، وكما أن المنطلق في قضية اللفظ والمعنى هو التساؤل عن سر إعجاز القرآن: هل هو في لفظه أم هو في معناه، كذلك جاء التساؤل في العمل الأدبي، هل تمكن مزيته وميزته في لفظه "أي شكله أم في معناه(أي مضمونه)" [1]. وكان الدارسون يجمعون على أن أبا عثمان هو أول من أثار هذه المسألة عندما فصل بين دلالات النص الأدبي، ومدلولاته، من خلال أحكام متعددة تتباين أحيانا إلى حد يبلغ درجة التناقض، على الرغم من عودة بعض الباحثين المعاصرين بالقضية إلى عصر تدوينها[2].

فقد أولى أبو عثمان أهمية بالغة للمعنى واللفظ، كونهما ضروريان لعملية الإبداع الأدبي، فقال:"وعلمه جميع الأسماء بجميع معانيها، ولا يجوز أن يعلم الاسم، ويدع المعنى، ويعلمه الدلالة، ولا يضع المدلول عليه، والاسم بلا معنى لغو كالظرف الخالي" [3] وهو يرى أن حسن الكلام لا يكون إلا بالاقتران بين المعنى الشريف واللفظ البليغ، فيقول:"وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه... فإذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الخصبة"[4]، فلا يكفي أن يكون المعنى شريفا حتى يكتسب الكلام صفة البلاغة، وإنما الأسلوب القوي المحكم بكل عناصره، هو الذي يجلوه ويضفي عليه من نعوت البلاغة، وبالتالي يحدث تأثيرا في النفوس [5].

---

[1] عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص273.

[2] د. يوسف غيوة، نظرية الجاحظ في ثنائية اللفظ والمعنى وموقعهما في الدراسة النقدية والبلاغية قديما وحديثا، مجلة الآداب كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 06، السنة 1424هـ- 2003م.

[3] رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1997، ج1، ص262.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص83.

[5] عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1970م، ص80.

وقد أشار الجرجاني في حديثه عن بيان استعمال اللفظ والمراد به دلالته على المعنى يقول:"ومن الصفات التي نجدهم يجرونها على اللفظ، ثم لا تعترضك شبهة، ولا يكون منك توقف في أنها ليست له، ولكن بمعناه قولهم: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك" [1].

ذلك لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة، وبمعاني الألفاظ التي يسمعها، أو يكون جاهلا بذلك فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى لفظ آخر" [2]، عن ذلك يقول الجاحظ أيضا:"والمعاني مطروحة في الطريق"، إن أساس المعرفة يأتي من خلال التجارب الحياتية، التي يعايشها الجمهور، فلا بد للأديب أو الشاعر أن يغرف منها، لكي يكوّن شعرا أو نثرا.

ويشيد الجاحظ بالمعاني العجيبة الشريفة، والمخترعة، ومثال ذلك قوله في وصف عنترة للذباب[من الكامل]:

جَاءَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَــيْنٍ ثَــرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَــةٍ كَالــدِّرْهَمِ
فَتَرَى الذُّبَابَ يُغَنِّــي وَحْــدَهُ هَزِجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَــرَنِّمِ
غَرِدًا يَحُكُّ ذِرَاعَــهُ بِذِرَاعِــهِ فَعْلَ الْمُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

يقول الجاحظ: "ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة"[3].

والعلاقة بين اللفظ والمعنى تعتمد أساسا-عند الجاحظ- على المطابقة بينهما، وتماشيها مع مقتضيات الحال والمقام يقول:"ومن علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وقف، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا، ولا مقصرا، ولا مشتركا" [4].

وقد أوصى بالمعنى وشرفه، لأنه هو الفائدة التي يحملها الكلام إلى ذهن المستقبل، فيقول:"أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا.. وإنما

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، الهيئة الصرية للكتاب، القاهرة، 2000م، ص267.
[2] المصدر السابق، ص267.
[3] الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996، ج3، ص312.
[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص93.

مدار الشرق على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال" [1].

إنّ اللفظ عند الجاحظ يحمل قدرا كبيرا من الإيحاء بمعناه، وتعبيره عن صورته، أو استبدال غيره به، يفقده القدرة على الامتناع والتأثير. يقول:"إذا كان موضوع الحديث على أنه مضحك، وداخل في باب المزاح، والطيب ما استعملت فيه الإعراب، انقلب عن وجهته.

وإن كان في لفظه سخف، وأبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها" [2].

وهذا الحديث الذي ذكره الجاحظ يؤكد على تركيزه على أن لكل مقام مقال، إن المعاني عند الجاحظ بحسب ما أعطيت من جمال الألفاظ، عندها ازدادت حسنا، وقبولا في نفس المستقبل، الذي يميل مع كل ما يحسن أمام ناظريه يقول:"والمعاني إذا كسبت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأريت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت ...فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري. والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوي ومدخل خدع الشيطان خفي" [3].

وقد أكّد الجاحظ على أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى ووضح له فقال:"ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني ضرب من الأسماء [4]. واتجه الجاحظ إلى هذا لاقتناعه بأن اللفظ السخيف يخبئ داخله معنا سخيفا. ولاختلاف أمزجة وعقول وميول المستقبلين يختلف الكلام الموجه إليهم فقال:"إلا إني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضيع وربما أمتع بأكثر من امتناع الجزل الفخم" [5]. وأخيرا أوصى الجاحظ بالاعتدال، فلا يكون قصيرا ولا طويلا أي الكلام شعرا كان

[1] المصدر السابق، ج1، ص136.

[2] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص39.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص254.

[4] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص39.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص145.

أو نثرا، لكي يكون سهل الوصول إلى العقول خفيفا على (مستوى) الأسماع فترى بعده الارتياح والانبساط على وجوه المستقبلين فقال:"وفي الاقتصاد بلاغ وفي التوسط مجانية للوعورة وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه وقد قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمــور فإنهــا نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

....وليكن كلامك ما بين المقصر والغالي. فإنك تسلم من المحنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان" [1].

ومن خلال هذه الجولة السريعة على آراء الجاحظ حول اللفظ والمعنى نلاحظ أنه لم يسقط يوما قيمة المعنى، ولم يبخسها حقها، واهتمامه باللفظ وإعطاءه مزية وفضلا لا يعني إهماله للمعنى.

النظم:

لغــة:

النظم عند الفيروزابادي(ت817هـ) هو التأليف، وضمُّ شيء إلى شيء آخر، ونَظَمَ اللؤلؤ، ينظمه نظمًا ونظامًا نظّمه: ألفّه وجمعه في سلك فانتظم، والنّظام: كل خيط يُنظم به لؤلؤ ونحوه"[2].

مفهوم النظم في الاصطلاح:

لا يختلف (كلمة) مفهوم النظم الاصطلاحي كثيرا عن ذلك المعنى المعجمي، بل كان أساسا لتلك الفكرة التي اتخذها العلماء وليجة للإعجاز القرآني، وقد شاع مصطلح (النّظم) عند أصحاب الإعجاز والمتكلمين وبخاصة الأشاعرة، بوصفه وجها من الوجوه التي يرد إليها الإعجاز القرآني، وظلّ يتردّد هكذا في بحثهم عن الإعجاز القرآني، وظلّ يتردّد هكذا في

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص255.

[2] القاموس المحيط: مادة (نظم) ص1500، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.

بحثهم عن الإعجاز[1]حتى صار نظرية لها أصولها وعناصرها خاصة عند عبد القاهر الجرجاني والذي يهمنا هو عند الجاحظ.

نظرية النظم عند الجاحظ:

لقد نال النظم عند الجاحظ قسطا وافرا في مؤلفاته ورسائله ونظر إليه أول مرة على أن الإعجاز في القرآن ومفهوم النظم عند الجاحظ هو: التأليف والسبك مثل وضع لألئ في سلك، ومثل ذلك سقوط جميع الإنسان فهي أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها [2].

لقد فرق الجاحظ بين النظم القرآني ونظم الكلام وتحدث عن اللفظة المفردة. واشترط عليها أن تكون خالية من تنافر الحروف، لا وحشية. جارية على ألسنة العرب، وهيكلة قواعديا [3]. وبأن تكون الألفاظ سهلة كأنها لفظ واحد.

يقول الجاحظ:"وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا. فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" [4].

كما أنه يرى بأن:"الشعر صياغة وضرب من التصوير، فالمعنى الأصلي الذي يعبر عنه الشاعر كالمادة في يد الفنان يغير من شكلها حيث شاء [5].

وهو القائل:"...و إنما الشأن في إقامة الوزن وتخيرا اللفظ..."[6] فتخير اللفظ أحد أركان العملية، وليس العملية كلها، ففي تصور الجاحظ ليس تخير اللفظ وإنما الهدف منه توظيفه في عملية البناء.

---

[1] ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ص161 وما بعدها وفكرة النظم بين وجوه الإعجاز، ص52 وما بعدها.

[2] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص111.

[3] أنظر الجاحظ، البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، ص67.

[4] المصدر السابق، ج1، ص67.

[5] د. صالح بلعيد: نظرية النظم، ص99.

[6] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص130.

فالنظم عند الجاحظ يظهر في حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس، وفي مواضع أخرى يشير إلى فكرة التلاؤم والفائدة من خلال التأليف الكلامي الذي يحصل من الكلام المتلائم، والذي يتغير بتغيير النظم [1] ويمكن أن نقول بصيغة أخرى أن النظم عند الجاحظ يقوم على انتظام الألفاظ وتآلفها وتلاؤم العبارات وتلاحمها، ويتعدى ذلك إلى انتظام الألفاظ والمعاني ومشاكلة بعضها لبعض.

ولذلك وضع بندين أساسيين لمفهوم البيان وهما:

1-جودة السبك: إن مصطلح السبك يحتل مكانة متميزة في هذا المجال فهو بصفة عامة حاضر في مقاربات الجاحظ النص الأدبي وبصفة خاصة في تحديد مواطن الجودة والجمال. فمعنى السبك هو حسن توظيف الكلام وترتيب المعاني على نسق خاص[2] حيث يقول الجاحظ :"...وفي صحة الطبع وجودة السبك..." [3].

فمن خلال هذا النص نلحظ أن الجاحظ قد أعطى لحسن اختيار الألفاظ وإجادة ترصيفها على مقتضى خاص نظما وجمالا.

ففي النص الشعري تحظى جودة السبك بمقام رئيسي في تصور الجاحظ لتحقيق الجمال الفني، فبالإضافة إلى اعتمادها أداة رئيسة في إعلاء شأن النص الشعري فهو يعمد إلى التصريح بأهميتها في تحقيق الجودة للنص الشعري أيًّا كان زمنه ومبدعه [4].

2-التصوير والصياغة: لا يكتفي الجاحظ بجودة السبك بقدر ما يشير إلى التصوير والصياغة. وهو الجنس الذي يهتم بالمعاني وهي ترصف رصفا خاصا وتعقد على كلم متعالقة متآلفة تعاضد لعضها البعض[5]. فالتصوير والصياغة تعد أهم شيء عنده فهو القائل:

---

[1] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص111.

[2] المرجع نفسه، ص111.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131.

[4] د. يوسف غيوة، نظرية الجاحظ في ثنائية اللفظ والمعنى وموقعها في الدراسة النقدية والبلاغية قديما وحديثا، مجلة الآداب، ص93-94.

[5] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص111.

"... فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج، وجنس من التصوير" [1]. ومن هذين البندين يمكننا أن نخلص إلى مفهوم البيان عند الجاحظ والذي له صلة وطيدة بنظرية النظم.

مفهوم البيان:

البيان هو ذلك العلم الذي يرد المعنى فيه بطرائق متعددة. وفي هذه النقطة صال وجال متحدثا عن البيان اللساني الذي حصل للعرب ولم يحصل لغيرهم، فدار العجم ينقصها البيان [2]. ومن هنا ينتصر العربي الذي يلقي كلامه بطريقة عفوية طبيعية بدون تكلف، وفي هذا الصدد يقول: "... ليس في الأرض كلام هو أمنع ولا أنقى ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد إتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ولا أجود تقويم من طول إستماع حديث الأعراب"[3].

إذن فإن البيان حكر على العرب وعلى لغتهم، والبيان لا يكون واضحا وفصيحا إلا بوضوح الدلالة، حيث يقول الجاحظ: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث إليه، ولذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم" [4]. وبهذا فالمعنى لا يكون جليا إلا إذا كانت المعاني الموجودة في الأذهان مستورة، وكائنة في معاني معدومة. وهذه المعاني لا تصيب هدفها إلا إذا وضعت في محلها المناسب حتى تصيب هدفها. فالمرء إن تحدث ببيان –والبيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي– أصاب الهدف لاشك، كما أن البيان مركزه القلب [5]. فالكلمة إذا خرجت من القلب دخلت القلب مباشرة، وإذا خرجت من اللسان فلن تتجاوز الأذان.

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص131–132.

[2] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص112.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص145.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص76.

[5] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص112.

يقول الجاحظ: "إسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1].

ولتوضيح البيان أكثر أتينا بقول لثمامة: "سأل ثمامة جعفر بن يحيى عن البيان فأجابه: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بد له منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا عن الصنعة بريئا من التعقد غنيا عن التأويل" [2].

إذن فالبيان هو الوضوح والتلقائية والعفوية والابتعاد عن التكلف والصنعة.

ونخلص إلى أن البيان عند الجاحظ هو في الفصاحة والوضوح وحسن الدلالة وبسط المعاني وتغيرها بتغير الدلالة [3].

فإذا جمعنا كل هذه الخصال سنصل إلى تحقيق النظم وليكون سهل الفهم وبيان الخفي ويحل المعقد ويصبح المجهول معروفا... إلخ وفي هذا المنوال يقول الجاحظ: "وهي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا، والبعيد قريبا، وهي التي تلخص المتلبس، وتحل المتعقد، وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا، والمجهول معروفا والوحشي مألوفا والغُفْل موسوما والموسوم معلوما"[4]. ومن كل هذا نتوصل إلى أن الجاحظ وضع الأسس الأولى لمعنى النظم، الذي يتمثل في البيان" وهو التبليغ والتوصيل وإجلاء للحقيقة وتعبير المتكلم عما هو في صدره"[5].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص106.

[3] صالح بلعيد، نظرية النظم، ص113.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75.

[5] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص113.

فيمكن تحديد البيان بأنه اسم ملم لكل شيء يكشف المعنى ليصبح جليا ويصل السامع إلى حقيقته، فكلما كانت المعاني واضحة سهلة الإدراك فذلك هو البيان.

وقد ارتأينا أن ندرج آراء بعض النقاد العرب المحدثين حول نظرية التنظيم عند الجاحظ، فالدكتور عبد السلام المسدي يقول في هذا الصدد:"لقضية النظم هذه أثر واضح في تحديد مفهوم الجاحظ للأسلوب"[1].

أما الدكتور الجمعي فقد لاحظ أن الجاحظ لم يوظف في نصوصه مصطلح النظم فقط، بل عمد إلى توظيف مصطلحات مرادفة له، ونستشف ذلك من خلال قوله:"فمعنى النظم يترادف مع التأليف والسبك ومشابها في إطار شامل لبنية النص"[2].

ويبقى مصطلح النظم في ذهن الجاحظ مرتبطا بالقرآن الكريم كما ذكرنا سابق، فهو يقول :"كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه" [3] ذلك أن النص القرآني يختلف اختلافا جذريا عن النصوص الأخرى، فالألفاظ كثيرة والمعاني تختلف وقد ركبت ورتبت ووضعت بشكل منسجم ومتناسق دون أخطاء تذكر.

نزعم هذا واليقين يراودنا لما نجده من أهداف سامية لدى المعتزلة بخاصة، والمتكلمين بعامة، في إحدى قضاياهم الكبرى قضية الإعجاز القرآني التي مازال أبو عثمان يناضل من أجل إقرارها كإحدى الحقائق التي يقوم عليها مذهبه ويهزم بها خصومه في العقيدة والإيديولوجيا [4].

نظم القرآن عند الجاحظ:

إن الجاحظ في مقاربته لثنائية اللفظ والمعنى إنما كان يفعل ذلك ضمن مقاربته لقضية أكبر وأهم هي قضية البيان تحدثنا عنها سابق التي شغلت الساحة البلاغية والكلامية.

---

[1] د. يوسف غيوة، نظرية الجاحظ في ثنائية اللفظ والمعنى وموقعهما في الدراسة لنقدية والبلاغية قديما وحديثا، مجلة الآداب، ص93.

[2] المرجع نفسه، ص93.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص09.

[4] مجلة الآداب، ص94.

وكان أساس المقاربات التي خص بها العلماء المسلمون هو سحر البيان ومواطن ذلك في "الخطاب" وما هو مقدور عليه من الخاصة وما يتعذر منه عليها، أي ما اصطلح عليه بالإعجاز[1] فالنص القرآني يمثل أروع نموذج في بنية الخطاب لذلك فإن البيانيين من العرب اتخذوه أساسا لأبحاثهم في مواطن بيانه وبلاغته وذلك بغية رصد مواطن الإعجاز فيه.

ولئن حضرت قضية إعجاز القرآن في مقاربات البيانيين العرب بعامة، فإنها شغلت بيئات المتكلمين منهم بخاصة إذ أنها كانت مرتبطة بأحد الأركان الأساسية التي تقوم عليها النظرية الاعتزالية، ونعني بذلك القول بخلق القرآن[2].

وقد حدد الجاحظ الإعجاز في نظم النص القرآني الذي لا يضاهيه نظم وفي أسلوبه الذي لا يقارن به أسلوب، وفي هذا الصدد يقول:"صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج"[3].

وكما سبق وعرفنا أن الجاحظ معتزلي على طريقة أستاذه "النظَّام" و[الذي يرى أن] القرآن يمكن أن يأتي به البشر، لكن الله صرفهم على إتيان ذلك وسمي مذهبه هذا بالصرفة [4] وتعني أن الله "صرف أوهام العرب من محاولة معارضة القرآن"[5]. ويبدوا أن الجاحظ لم يعرض للنِّظام في القول بالطريقة فقد كان هو نفسه يرى في الصرفة وبها من وجوه الإعجاز، إلا أن للصرفة عنده تأويلا آخر غير ما نجده عند النظّام. فالصرفة عنده تهدف إلى إبعاد أهل الشعب عنه محاولة المعارضة، وحتى لا يأتي ما أتيح لهم من ذلك "مضطربا ولا ملفقا ولا مستكرها"[6].

---

[1] المرجع السابق، ص95.

[2] المرجع نفسه، ص95.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص383.

[4] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص122.

[5] الجاحظ، الحيوان، ج2، ص269.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص269.

والجاحظ عند ما تدبر هذه الآيات:"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم بعضا".

وقال تعالى أيضا: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ رفض فكرة النّظام وتصدى له بنقيضها النظم، وهذا هو الدليل الذي تنص عليه المصادر بأن الجاحظ أول من رد الإعجاز القرآني للنظم.

وللعلم أن للجاحظ كتاب اسمه "نظم القرآن" ولكنه مفقود لكن الذي يمكن الاحتجاج به هو: عنوان الكتاب هذا وكذا ما وجد فيه كتبه الأخرى من حديث متناثر عن النظم [1]. وهذا الكتاب قد حرمنا منه ولم تسعد به المكتبة الإسلامية، ذكرها هو في كتبه المتفرقة. وفي كتاب الحيوان للجاحظ يستشهد على ذلك بقوله:"ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن الكريم للتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع بين المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، فمنها قوله في وصف خمر أهل الجنة:﴿لاَ يَصْدَعُونَ عَنْهَا ولاَ يُنْزَفُونَ﴾ فهاتان كلمتان قد جمعتا عيوب خمر أهل الدنيا"[2].

ومن هنا نستخلص أن الجاحظ يقر بالنظم على أساس هو:"التنسيق والصياغة والتأليف"[3].

ولهذا نجد الجاحظ يفضل القرآن الكريم عما سواه من الكلام والنصوص ذلك لطبيعة صياغته والعبارات الرائقة مما جعلها تنال الإعجاز ولم يلتفت لما تفيده المعاني.

وسبق له أن قلل من قيمة المحتوى في الشعر، وإنما ينظر إلى الشكل وإلى طريقة تعليق الكلمات، والمعاني مطروحة... وإنما الشأن في صياغتها أي نظمها. وزمن ذلك يؤكد في كثير من آرائه على أن الإعجاز القرآني لا يفسر إلا بالنظم، والنظم حقيق برفع الآيات

[1] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص123.

[2] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص86.

[3] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص123.

إلى مستوى الإعجاز، لأن المعاني قدر مشترك، وألفاظ القرآن معروفة وهي متناثرة، لكن إعجازها وإتيانها منظومة هو الشيء الخاص[1].

وهكذا فالإعجاز هنا مزدوج، فالقرآن من جهة معجز في نظمه وبلاغته، حتى أن العرب قد عجزت عن معارضته بعد أن تحدّاها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. "مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدعاة والحلماء وأصحاب الرأي والمكيدة والتجارب والنظر في العاقبة"[2] والقرآن من جهة أخرى معجز من جهته صرف الدواعي عن معارضته.

إن الجاحظ فتح باب النظم واعتبره الأساس في الإعجاز القرآني، ونعود لنقول أن القرآن عنده وعند أقرانه من رجال المعتزلة، حادث مخلوق، فهذا يستدعي القول بأن ألفاظه حادثة مخلوقة حيث تقول الدكتورة وديعة النجم:"وإذا كانت المعاني مطلقة الوجود فإن القرآن نقلها من المطلق إلى المحدود، ومعنى ذلك أن الفضل بالضرورة يعود إلى الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية. وأسماء المعاني مقصورة محدودة"[3].

وبهذا القول نجدها تعلل مذهب الجاحظ في تفضيله اللفظ وتقديمه.

وكذلك نستشف آراء بعض النقاد حول قضية النظم القرآني عند الجاحظ حيث ظهرت بشكل متفاوت بين الباحثين المعاصرين[والذين] راحوا يقرنون قضية الإعجاز في النص القرآني بنظم لفظه وتشكيل عباراته[4] ومن الباحثين نجد الدكتور محمد جمعة عابد الذي يرى بأن الجاحظ سار في نهج لم يعد بوسعه تغييره وآمن بفكره أصبح من غير الممكن أن يلغيها. فما دام الإعجاز في تقديم الكلمات ناتج عن معالجة المعتزلة.

[1] المرجع السابق، ص123.

[2] الجاحظ، الرسائل الكلامية، ص193.

[3] مجلة الآداب، ص95.

[4] المرجع نفسه، ص96.

والجاحظ من رؤوسهم لإحدى قضاياهم الأساسية وهي قضية خلق القرآن التي استدعت منهم تكريس حل وسط نتج عنه تسويد اللغة على الفكر واللفظ على المعنى [1]. ونأخذ أحد أقواله التي تبرز رأيه من كتابه الموسوم "من قضايا النقد الأدبي" حيث يقول في هذا المعنى:"إنما وجد أن الإعجاز في القرآن لا يفسر إلا عن طريق النظم، ومن بأن النظم حقيق برفع البيان إلى مستوى الإعجاز، لم يعد قادرا على أن يتبنى نظرية تقديم المعنى على اللفظ [2].

إذن هذه الأقوال تبرز كذلك سبب تفضيل الجاحظ للفظ عن المعنى.

إن التطرق لمسألة الإعجاز يدفعنا للحديث عما ذكره الجاحظ في معرض حديثه عن "الصرفة" الذي اتبع أستاذه النظام في القول بها وخاصة في معارضة العرب للقرآن، فالجدير بالحديث الذي ذكر فيه صنيع مسيلمة في تأليفه كلاما يعارض به قوله عز وجل في كتابه العزيز قال:"فقد رأيت أصحاب مسيلمة، وأصحاب ابن النواحة إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام، الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه، وأخذ بعضه، وتعاطى أن يقارنه، فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له[3].

إذن فأصحابه قد تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام بالرغم من أن السامع لكلامه يجرك أنه أخذ ألفاظه من القرآن الكريم.

فالتأليف لا يكون إلا بالألفاظ فهي مادة البناء، لكن ذاك التأليف يبقى عاجزا عن خداع من يسمعه، حول مصدره، إذن إن أبا عثمان يجزم بأن كل من سمعه علم أن صاحبه أخذه من القرآن [4].

ونصل إلى أن الإعجاز يكون في التشكيل والبناء مكان المرء أن يأخذ لفظا من ألفاظه أو معنى من معانيه لكن لا يمكنه أن يأخذ بناءه وتـــأليفه. فهنا يكمن الإعجاز ومن كل هذا

[1] المرجع السابق، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج4، ص89.

[4] مجلة الآداب، ص98.

نرى أنه فتح باب النظم، واعتبره الأساس في الإعجاز القرآني، إلا أنه أعطى قيمة لحسن اللفظة أولا ثم تحسن أكثر في النظم، ولم يعط المعاني قدر ما تستحق ولم ينظر إلى ما تفيده معاني النحو في ذات النظم، بل نظم إلى الصياغة وخاصة في الشعر وكان همه هو الرصف والصناعة [1].

والنظم هو المصطلح الذي يعبر بدقة عن صفة الإعجاز التي يتسم بها "القرآن الكريم".

[1] د. صالح بلعيد، نظرية النظم، ص123.

خاتمـة:

الحمد الله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، له الفضل و الثناء الحسن، يستحقه على ما أنعم به علينا أما بعد:

قضية اللفظ والمعنى قضية شائكة، عرض لها أبو عثمان عرضا رصيناً،في جوانب مختلفة ومتعددة قرر فيها أن أحسن الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفضه.

واشترط في اللفظ والمعنى البلاغة والشرف ليصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

ولعل أجمل موقف يتضح فيه تعمقه في هذه القضية مقولته المشهورة عن المعاني" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي... "

وهو بهذا لم ينكر المعنى أو يهمله، بل يرى إطارها ذلك الأسلوب المحكم القوي، الذي يشير إلى المعاني العجيبة المخترعة البديعة، تلك المعاني التى يتنازعها الشعراء.

ثم اهتدى الى أن لكل أديب معجمة الخاص به، لكل قوم ألفاظ خطية عندهم... وكل شاعر وصاحب كلام موزون فلا بد أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعينها ليديرها في كلامه.

وإشادة الجاحظ باللفظ لا تعد تقديما على المعنى، فالمعنى روح واللفظ بدن والجاحظ مفكر ذكي متوقد الذكاء، صاحب منطق سديد، وعقله نهم للمعرفة، يحدوه فضول غريب إلى النظر في الاشياء ومحاولة سبر أغوارها وإماطة اللثام عنها، فتراه يتفحصها، ويقلبها ويختبرها ويسمع ما يقال عنها، حتى ينتهي إلى اتخاذ موقف عنها، وإصدار حكمه عليها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-قائمة المصـــادر

1- القران الكريم برواية حفص.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ج1.

3- الجاحظ، البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجري، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

4- الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1969م، ج7.

5- الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط1، 1997، ج1.

6- الجاحظ، الرسائل الكلامية، تقديم وتبويب وشرح الدكتور علي أبي ملحم، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال 1987م.

7- الجاحظ، رسائل الجاحظ، شرحها وقدم حواشيها عبد أمنها، دار الحداثة، طريق المطار، ط1، 1987.

ب- قائمة المراجـــع:

8- بحث المعنى عند الجاحظ، ماهر مهدي هلال، مجلة آداب المستنصرة، العراق، العدد 15، 1987.

9- حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية.

10- صالح بلعيد، نضرية النظم، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزاءر، 2009م.

11- الدكتور الطاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، جامعة القاهرة، الطبعة الثامنة، 1419هـ-1999م.

12- عزت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005.
13- عبد العزيز حمودة، المرايا المقرة، نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 2001.
14- عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1970.
15- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م\1422ه.
16- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2000م.
17- القاموس المحيط، مادة نظم، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م.
18- مجلة كلية التربية، النقد في العصر العباسي، الجاحظ ودوره الحضاري في القرن الثالث الهجري، العدد9، لجيا فخري عمر الجاف وخليل حميد، جامعة بغداد.
19- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
20- مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، عامر بن شتوح جامعة ورقلة.
21- مريم محمد جاسم المجمعي، نظرية الشعر عند الجاحظ، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009-2010م.
22- مكانة العقل في فلسفة الجاحظ، إعداد عبد المجيد الجوزي (أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005.

23- يوسف غيوة، نظرية الجاحظ في ثنائية اللفظ والمعنى وموقعهما في الدراسة والبلاغة قديما وحديثا، مجلة الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، العدد6، السنة1424هـ\2003م.

فهــرس الموضوعات:

مقدمة ..... أ
الفصل الأول: حياة الجاحظ وأثر المعتزلة في فكره 1
نبذة عن حياة الجاحظ..... 2
اسمه ونسبه 2
عصره..... 3
أ-الحياة السياسية..... 3
ب-الحياة الاجتماعية..... 3
ج-الحياة الفكرية والثقافية 5
أسلوبه 5
ثقافته..... 6
أثر المعتزلة في فكر الجاحظ:..... 7
واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد 8
أبو الهذيل العلاف 9
إبراهيم بن سيار النظام 10
بشر بن المعتمر..... 11
ثمامة بن أشرس النميري..... 12
مؤلفاته..... 14
وفاته 15
الفصل الثاني: قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ و قضية النظم 16
توطئة..... 17
مفهوم اللفظ عند الجاحظ..... 19
مفهوم المعنى عند الجاحظ 21

قضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ.....24
نظرية النظم: تعريفها، لغة و اصطلاحا.....27
نظرية النظم عند الجاحظ.....28
نظم القرآن عند الجاحظ 32
خاتمة
قائمة المصادر و المراجع